المقـــدمات

- مقدمة الناشر: وفيها نبذة مختصرة عن حياة العارف بالله

فضيلة الشيخ الإمام

«محمد متولي الشعراوي»

- مدخل إلى الكتاب: وفيه التعريف بالغرض الأساسي الذي وضع من أجله هذا الكتاب.

ولا تُنفقنَّ امرأةٌ شيئاً من بيتها إلا بإذن زوْجها، قيل: يا رسول الله: ولا الطعام ؟ قال: ذلك أفضل أموالنا[١].

فاتَّقوا الله في النِّساء، واستوصوا بهن خيراً، فإنهن عوان عندكم لا يملكن لأنفسهن شيئاً، وإنكم أخذْتُموهُنَّ بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله. فاعقلوا أيُّها الناسُ واسمعوا قولي، فإني قد بلغت »[٢].

ولما كان لهذا العلم رجال خلقهم الله تعالى منذ خلق السموات والأرض، واصطفاهم لوراثة علم النبوة، وجعلهم كالنجوم منارات هدى يُهتدى بهم.

وعلى رأس كل مائة سنة يبعث الله تعالى منهم من يجدد الدين في قلوب الناس؛ وهم رضي الله تعالى عنهم حلقات متصلة منذ أشرقت الأرض بنور رسالة نبي الهدى ﷺ إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها.

وإذا كان هذا القرن قد شهد الكثير والكثير من العلماء العاملين المجاهدين، فلا نغالي إذا قلنا أنه يأتي في الطليعة منهم ترجمان القرآن الداعية الأول[٣] الشيخ الإمام محمد متولي الشعراوي.

وفي واحدة من أهم وأخطر القضايا التي تهدد كيان المجتمع المؤمن كله، يتشرف مركز التراث لخدمة الكتاب والسنة بمعاونة فضيلة الشيخ محمد الشعراوي بتقديم كتاب:

«أحكام الأسرة والبيت المسلم»

للشيخ الإمام داعية الإسلام محمد متولي الشعراوي حفظه الله تعالى يحث

= ابن أبي نجيح، وأخرجه مسلم [١٢١٨/١٤٧]، وأبو داود [١٩٠٥]، وابن ماجه [٣٠٧٤] من حديث جابر رضي الله تعالى عنه.

(١) رواه أبو داود [٣٥٦٥]، والترمذي [٦٧٠] وابن ماجه [٢٢٩٥] وعبد الرزاق في المصنف [١٦٣٠٨]، وأحمد في المسند [٥/٢٦٧] من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله تعالى عنه، وصححه الألباني في صحيح أبي داود [٣٠٤٤].

(٢) مصادر التخريج رقم [١].

(٣) اختير فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي الداعية الأول لعام ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، وتسلم فضيلته الجائزة وقدرها مائتان وخمسون ألف دولار من سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم حاكم إمارة دبي - بدولة الإمارات العربية المتحدة، وقد تبرع بها فضيلته للأزهر الشريف.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

إن الحمد لله؛ نستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يهده الله؛ فلا مضلَّ له، ومَنْ يُضلل؛ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هديُ محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكلُّ محدثةٍ بدعة وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار[١].

ومن هديه صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وسلم ما جاء في وصيته ﷺ في خطبة حجة الوداع إذ قال بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله:

« أما بعد.. أيها الناس: فإن لكم على نسائكم حَقًّا، ولهن عليكم حَقًّا، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مُبَيِّنَة، فإن فعلن ذلك فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع، وتضربُوهُن ضرباً غير مُبَرِّح، فإن انتهين فلهنَّ رزقُهُنَّ وكسوتُهنَّ بالمعروف[٢].

---

(١) رواه النسائي في الكبرى [٣/ ٤٥٠] وأخرجه مسلم [٨٦٧/ ٤٣-٤٥] بدون زيادة « وكلُّ ضلالة في النار ».

(٢) رواه الطبري في تاريخه [٣/ ١٥١]، وابن هشام في السيرة [٤/ ٢٩٨] بلفظه من حديث=

فيه المؤمنين بصفة عامة والزوج والزوجة بصفة خاصة على تقوى الله تعالى؛ إذ هي عماد الأمر كله، كما يرشدهم إلى اتباع هدى النبي ﷺ؛ إذ هو سفينة النجاة للوصول إلى شاطئ الأمن وبَرّ السلامة في الدارين.

ومن نافلة القول أن نقول إن شيخنا الإمام متعدد المواهب، متنوع الطاقات إذا تكلم في اللغة كان بيانها، وإذا تحدث في الفقه كان حكمه، وإذا سمعته وهو يتكلم في التفسير خشع قلبك وتعلقت أنفاسك حتى لا تفوتك خاطرة من خواطره الإيمانية الفياضة التي تجعلك تعيش في واحة بها الاستراحة: استراحة النفس بالمودة والرحمة، استراحة القلب بالسكينة، استراحة العقل بالدليل.

وفي هذا الكتاب يلحظ القارئ سهولة العبارة، ودقة الإشارة، وحسن الاستنباط وكأنها أطياف حب تبسط أشعتها على الحياة الزوجية فتزيدها حبًا على حب لتحيا الأسرة المسلمة في ظلال الإيمان الندي والحب الوفي.

وإن قدر الله تعالى غير ذلك لحكمة يعلمها سبحانه فـ: ﴿تَسْرِيحٌ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩] ولا ضرر ولا ضرار.

وقبل أن أترك القارئ الكريم ينهل من هذا النبع الصافي، والبحر الفياض أحب أن أضع بين يديه لمحة موجزة عن جهاد شيخنا رضي الله تعالى عنه في الدعوة إلى الله تعالى، لا لعصرنا هذا بل لعصور تأتي؛ ويكون أهل عصرنا عن الدنيا قد رحلوا؛ فيعلم الناس أن لهم إخواناً ساروا على درب الهدى واقتفوا أثر النبي ﷺ والصحابة والتابعين وسلف الأمة الصالح الذين تركوا لنا ميراثاً من القيم نحيا به استجابة لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، فبلغوا الرسالة وأدوا الأمانة امتثالاً لقول ربنا جل وعلا: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣] وقول نبينا ﷺ: «بلغوا عني ولو آية»[1]، وقوله ﷺ: «نضر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»[2] فيدعون لشيخنا الإمام ويترضون عليه حيث سيكون هذا الكتاب ـ مع ما سبق

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري [٣٤٦١] عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما.

(٢) رواه ابن ماجه [٢٣٠، ٢٣١] عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه بلفظ: «نضّر الله امرأً سمع مقالتي فبلغها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه». وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه [١٨٧، ١٨٨].

وقدمناه لشيخنا الجليل من كتب ـ طاقة نور لعصور الله أعلم كيف تكون، فقد أخبرنا المعصوم ﷺ: «أنه لا يأتي زمان إلا والذي بعده أشر منه»[1]، فأقول مستعينا بالله تعالى[2]:

○ هو فضيلة الإمام داعية الإسلام ترجمان القرآن في عصرنا، المجدد، الملهم، العارف بالله الشيخ «محمد متولي الشعراوي»

○ حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة.. وكان له مع صغر السن للآيات فكر يذكر.

○ مؤدب المنطق شاباً، نظيف الكلمة منطقاً، موزون الشعر أدبياً، محبوب المنتدى حديثاً، عاشق البيان خطيباً.

○ يرى أن السياسة عين الحكم، والحكم يكون من الحكمة ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

○ لطيف المعاشرة، حبيب المجاورة، أنيس للجليس، مأنوس في الحديث.

○ يقرأ عين المحتاج بغير منطوق، ومن المفهوم يكون العطاء السخي والإغداق الندي.

○ لا يحب الحرج وإنما يلمس بالنصيحة لتكون للسامع هدى بغير فضيحة.

○ يرضى بالكفاف عيشاً، ويحب أن يرى المحتاج في سعة ويطرب عندما يسمع خيراً ساقه الله لأحد.

○ يقوم الليل حتى يعانق فجره، ذكراً واقتراباً، أما نهاره فمع القرآن تدبراً ببكاء، وتلاوة مع فتح وعطاء.

○ بين الخضرة والزهور والجداول والعطور والندي الذي بلل الورد صباحاً في قرية عريقة امتدت أصولها عبر أعماق التاريخ، وفي أغوار الماضي السحيق،

---

(١) أخرجه البخاري [٧٠٦٨] عن الزبير بن عدي قال: أتينا أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، فشكونا إليه ما يلقون من الحجاج فقال: اصبروا فإنه: «لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده أشر منه، حتى تلقوا ربكم». سمعته من نبيكم ﷺ.

(٢) مقتبس من كتاب: «الفتوحات الشعراوية» لفضيلة الشيخ محمد علي السراوي، والذي تشرف مكتبة التراث الإسلامي بإعداده الآن للنشر نسأل الله العون والتيسير.

وعلى حضن فرع دمياط من نيل مصر العظيم وترعته المنصورية من الناحية المقابلة، نشأ الإمام في قرية « دقادوس » بميت غمر دقهلية، في هذه القرية صاحبة الريف السخي والخصوبة المؤنثة، وعلى ثراها العطر، وعلى شاطئ النيل ونغم الهدير المعطر بالدفء الأريب قدر الله سبحانه أن يعطي للدنيا عالماً أديباً، وفاضلاً ممنوحاً.

ففي الربيع الذي يختال على الناس جمالاً وجلالاً، ولد شيخنا العارف بالله الشيخ محمد متولي الشعراوي في أوائل إبريل عام ١٩١١م، عالم هذه الأمة، وإمام عصره، وكان يسمى « أمين » وأطلق عليه هذا الاسم الذي لم يعرفه إلا من عاشروه بقرب، واسم أمين له دلالات في إطلاقه على الشيخ، فهو الأمين بين أهله، والأمين على دعوته.

○ نشأ شيخنا نظيفاً في أصله، مرموقاً بين أهله وإخوانه، فأبوه كان مستور الحال، لا إقطاعياً مقطوعاً، ولا متسلقاً وراء المطامع، وإنما كان مبدؤه أن الرجل عند الله هو الذي يكون غنياً عن الأشياء، لا بالأشياء، عاش حياة الزهد العملي، متخذاً الزراعة مهنته، والحب فطرته، والأرض خلوته، والإصلاح بين الناس سلوته.

وكان أبوه رحمة الله تعالى عليه للقرآن حافظاً ومحافظاً، وللسنة فاهماً وواعياً، يوقر الكبير ويرحم الصغير، بيته مفتوح لأهل بلدته بما أفاء الله تعالى عليه من عطاء ورزق، كما كان يتمتع بالقبول الرباني، فنشأ الشيخ أميناً بين إيمان بكر، ويقين بفكر، وقلب بذكر، وصفاء بسريرة، ونقاء في المسيرة.

○ في سنة ١٩٣٠م التحق الإمام بمعهد الزقازيق الثانوي، وكانت هذه الفترة منطوقاً لمفهومه التأملي، بعد أن عاش المرحلة الابتدائية الأزهرية، وعايش القرآن صغيراً مجوداً أحكامه، قانتاً أمام أسراره، يتملى منه ويتأمل في كون الله، ومنهما معاً عاش حياة التوحيد والزهد والورع.

○ عاش الإمام حياة الرضا صغيراً، وحياة التفويض كبيراً، وحياة الزهد عالماً، وحياة الحياة قرآناً، ومن هذا المنطلق تحدث عن النعمة، والإنسان يقول: إن واقع الحياة يرى أن كل إنسان مهما ينعم في الحياة بما يتصور من النعمة فإنه لا بد من مفارقتها بالموت، وقد تفارقه وهو على قيد الحياة، ومن هنا نجد ربط النعمة بالمنعم، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. فالعبادة

أولاً، ثم يأتي العون عن طريق العبودية لله كما ورد ذلك لإبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

فجعل التقرب إلى الله بالصلاة وسيلة إلى طلب الحياة في صحراء جدباء فكان العطاء، ومما سبق نجد أن حياة الشيخ تستبق الرضا، وتعيش بالمدد، وترتبط بالله ثقة بالعطاء الممنوح، والفيض المفتوح.

○ عاش شيخنا الإمام حياة السياسة، وكان له الرأي الذي يصلح الناس، ويعلي من قيم المجتمع دينياً وخلقياً، أما رأيه فكان مستقى من صفاء القرآن، ونقاء السنة، وصفاء الإجماع، وقياس المنطق، والمصالح العامة والاستحسان الرضي، والاستنباط الجلي، والإعزاز بالوطن، وطن الإسلام الكبير. كان يرى أن السياسة هي التربية الروحية حباً، والتربية العقلية تفكيراً وتخطيطاً، والتربية المادية حركة وإبداعاً، والتربية المنطقية حكمة وموعظة، والتربية النفسية سكينة واطمئناناً.

○ مرت الأيام تباعاً، وتتابعت السنون سراعاً، وشيخنا يعيش عصره بكل ما فيه من سياسة الاضطراب. واضطراب الظروف السياسية ينعكس على حاضر المجتمع وحياته المعيشية، وكانت ترجمته لهذه الحياة التي طال ليلها، وغاب فجرها، قصيداً ينشد الأمل، أو مقالاً يبغي صلاحاً، أو كلمة تهز وجداناً، أو أحلاماً بنزوع إلى فجر جديد تعيش فيه الناس حياة الحياة، والإمام له من المقومات التي لم يجدها الكثير من الناس في غيره، فهو الذكي بأدب، العامل بإبداع، المفكر بذكر، التقي بصفاء، الحافظ بتعقل، المتواضع بإباء، الواعي بفقه، جميل المؤانسة بطرائف مؤنسة، ومن هذا المنطلق كان جمعاً للجوامع بنفحات في لمحات هي خواطر وفتوحات.

○ لشيخنا رضي الله تعالى عنه ماضٍ كله شرف، شرف القلب بالتوحيد، والتفريد، والتجريد، مليء بموافقة الكلمة، ومصادقة المعنى، مصاحب للذكر بكرة وأصيلاً، مصلٍ على النبي ﷺ غدواً ورواحاً، وخواطره حول القرآن استقبلتها كل القلوب على اختلاف المشارب والأجناس واللغات، تهفو إليه بحب وتنتظره عن قرب وتطلبه عن بعد.

○ أُعير فضيلته للعمل بالمملكة العربية السعودية سنة ١٩٥٠م وعمل مدرساً بكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة زادها الله تشريفاً ومهابة وأمناً، فكان خير سفير للأزهر وبلده مصر.

حياته كلها داعياً إلى الله سبحانه وتعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، وقدم شيخنا الكثير مما رزقه الله سبحانه وتعالى لإنشاء هذا المسجد، ولإنشاء المعاهد الدينية، ولإنشاء المدارس، ولإنشاء المستشفيات. فعل ذلك لأنه يعلم علم اليقين أن الله سبحانه وتعالى قد أمرنا جميعاً أن نفعل هذا الفعل الذي فعله، وأن نسير على نهجه في خدمة ديننا وخدمة مجتمعنا[١].

نفعنا الله بعلمه وبارك لنا في عمره وجزاه عن أمة الحبيب ﷺ خير الجزاء.

يوم الاثنين ١٥ من المحرم ١٤١٩هـ
١٠ من مايو ١٩٩٨م

خادم العلم الشريف
عبد الله حجاج

---

(١) كان ذلك في خطبة الجمعة ٢٨ من ذي القعدة ١٤١٨هـ الموافق ٢٧ من مارس ١٩٩٨م بمناسبة افتتاح « مسجد الأربعين » المسجد الكبير بدقادوس المهدى من مجمع الشعراوي الإسلامي إلى وزارة الأوقاف وبحضور المؤسسات الدينية:

١ ـ الأزهر الشريف ممثلاً في شيخه الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر.

٢ ـ وزارة الأوقاف ممثلة في وزيرها الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف.

٣ ـ دار الإفتاء المصرية ممثلة في فضيلة الأستاذ الدكتور نصر فريد واصل مفتي الجمهورية.

٤ ـ جامعة الأزهر ممثلة في فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر.

٥ ـ مجمع البحوث الإسلامية ممثلاً في أمينه العام فضيلة الشيخ سامي محمد متولي الشعراوي.

والقيادات السياسية والشعبية والأمنية بمحافظة الدقهلية وفي طليعتها اللواء فخر الدين خالد محافظ الدقهلية. ومعهم أبناء الشيخ وأحفاده، وأهل دقادوس قاطبة، والقرى المجاورة لها وكان يوماً مشهوداً نقله التليفزيون المصري إلى كافة أنحاء العالم.

○ قضى الإمام ست سنوات بالجزائر، كان ملتقى العلماء والأدباء والأتقياء، وجهت إليه الدعوات من كل الولايات والمنتديات، والجامعات حتى ذاع صيته في المغرب الأقصى فأتوا إليه زائرين مريدين يبتغون فضلاً من علمه وبركة من وصله، كان محبوباً من الناس، فقد رأوا فيه الشخصية الإيمانية، والوطنية الأصيلة، وقد تصدى للإلحاد الشيوعي في الجزائر الذي بدأ خافتاً في رحاب الجامعات والمدارس، وكان له أثر كبير في أن أرجع الجدل الشيوعي إلى منطق الإيمان العقلي مدعماً بالدليل الصادق للوصول إلى الله وكان دليله نعم الدليل حيث إنه كان مقنعاً بعلمه، قوياً بشخصيته، مسلماً بإيمانه، مصرياً بوطنه، حتى نقل شخصية مصر بأزهرها إلى قلب كل جزائري، ومغربي، وتونسي.

○ عين رضي الله تعالى عنه عام ١٩٧٠م أستاذاً زائراً بجامعة الملك عبد العزيز، ثم في عام ١٩٧٢م عين رئيساً لقسم الدراسات العليا بجامعة الملك عبد العزيز وما زالت مآثره خالدة مع إخوانه العلماء بالمملكة نسمع عنها وتحكى لنا كلما نلنا شرف الجلوس إليهم.

○ وفي عام ١٩٧٦م اختير رضي الله تعالى عنه وزيراً للأوقاف وشئون الأزهر، وكانت له أياد بيضاء كثيرة ما زال يذكرها أبناؤه بالأوقاف والأزهر، ثم آثر فضيلته التفرغ للدعوة والسياحة في بلاد الله حاملاً رسالة ربه للدنيا كلها شرقاً وغرباً فكان له ما أراد.

أثنى عليه فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر؛ قال فضيلته: قال الرسول ﷺ: « من لم يشكر الناس لم يشكر الله »[1]، ومن الوفاء، ومن الإيمان الصادق أن نمدح من يستحق المدح، وأن نثني عليه حتى يقتدي الناس به.

جئنا إلى: « دقادوس » هذه البلدة المباركة التي أنجبت شيخنا وأستاذنا، بل وأستاذ الأجيال فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي رزقه الله عز وجل الصحة والعافية. جئنا إلى هنا لكي نؤدي الصلاة مع شيخنا ومع أستاذنا ومع إمامنا، ولكي نضرع إلى الله سبحانه أن يبارك لنا فيه وفي علمه.

فإن فضيلة شيخنا بدروسه العلمية النافعة قد فتح قلوباً غلفاً، وهدى الناس إلى ما يسعدهم في دينهم ودنياهم، وبيّن ما هو حق، وبيّن ما هو باطل، وعاش

---

(١) رواه أحمد في المسند [٢/٢٥٨]، والترمذي [١٩٥٥]، وصححه الألباني في صحيح الترمذي [١٥٩٣].

مدخل إلى الكتاب

بقلم فضيلة الشيخ
محمد الشعراوي
من علماء الأزهر الشريف

فضيلة إمام الدعاة الشيخ محمد متولي الشعراوي لا يحتاج إلى تقديم؛ فقد قدمه الله، واختاره في هذا العصر؛ ليكون هادياً لما أعطاه من فيض، وما رزقه من مدد، وما كشف له من أسرار؛ جعله ممنوحاً بالقبول فاستقبلته الناس على مختلف الأعمار، والمذاهب، والأجناس؛ ليأخذ كل إنسان منه زاد الروح، وتأمل العقل، واستقرار النفس وسكينة الاجتماع فهو متقدم لفظاً ورتبة، ولا يستطيع أديب أو متأدب أن يقدم ما حوته الخواطر الإيمانية؛ لأنها إشارات بنفحات يأخذ منها الباحث مدد الإشارة؛ وفيض النور؛ فخواطره الإيمانية ترجمة صادقة لمؤمن عابد يتلقى الإلهام من فيض الصفاء، ومن منهل القرآن الذي هو منهج لحياة تحيا بها الحياة، يقول الحق وهو أصدق القائلين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

ولما كان المجتمع البشري له أساس، وله بناء، وله سكن؛ فأساسه الأسرة التي تقوم على منهج الشرع، وبناؤه تطبيق المنهج في حياة الأسرة، وسكنه المعايشة على المودة، والرحمة، والسكينة؛ بهذا تتكون الأسرة المؤمنة التي ينطلق منها الرعيل الصالح لمسيرة المجتمع الصالح الذي يعرف الانتماء لدينه، ولمجتمعه، ووطنه.

فالأسرة في وقتنا المعاصر تمر بخلل مؤداه الملل تحت مسميات تبريرية، فهذا التحايل الذي منيت به الأمة بعوامل الإيفاد الغربي، هو تبرير لجرائم لا يحمد عقباها؛ فعلى الساحة الآن ولدٌ بغير أب، وامرأةٌ لكل الرجال، ورجلٌ لكل النساء حتى اختلت موازين القيم بالتقليد الأعمى والتبرير المنحل.

فالأسرة تقوم على مقومات:

أولاً: على عاطفة متبادلة.

ثانياً: وعلى عقل حكيم.

ثالثاً : وعلى خبرة تربوية.

رابعاً : مع إيمان كامل بمنهج الله.

وذلك لاستبقاء النوع المتمكن بحياته لحياته، يقول الحق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

فإذا كانت البذرة صالحة، والأرض طيبة؛ أنبتت نباتاً حسناً؛ لذلك ينهانا الرسول عن الزواج الذي لا تتعادل فيه الكفاءة، فقال: «إياكم وخضراء الدمن»؛ فقيل وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء»[1].

فليس الجمال وحده مقوماً لأسرة كريمة، ولكن مقومات الاختيار هي: حسب منسوب، ومال موصول، وجمال وقور، ودين يعيش مع المنهج بالمنهج.

فاظفر بذات الدين تربت يداك. فليس بالجمال تحيا الأسرة، وليس بالمال تستقر الأسرة، وقد يكون الحسب مدعاة للتفاخر؛ فتهز الأسرة ولكن قوام هذا كله: أن تظفر بذات الدين؛ فيكون خيراً لك، وللأحفاد على مدى الأجيال، لهذا كانت الخطبة من مقدمات الزواج؛ لأن في اللقاء قبولاً إذا توافرت عناصر الكفاءة، كفاءة الأصالة، وكفاءة الثقافة، وكفاءة التعقل، وكفاءة الدين؛ فإذا كان الأصل مع الثقافة معطراً بالتعقل وموصولاً بالدين كانت الأسرة آية من آيات الله سبحانه قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

ولما كان التعقل يحدد لكل فرد في الأسرة وظيفته؛ فإن قوامة الرجل على

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير [٣/ ١٤٥] ذكره الرامهرمزي والعسكري في الأمثال، وابن عدي في الكامل، والقضاعي في مسند الشهاب، والخطيب في إيضاح الملتبس كلهم من طريق الواقدي عن يحيى بن سعيد بن دينار عن أبي وجزة يزيد بن عبيد، عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري، قال ابن عدي: تفرد به الواقدي، وذكره أبو عبيدة في الغريب فقال: يروى عن يحيى بن سعيد بن دينار، قال ابن طاهر وابن الصلاح: يعد في أفراد الواقدي وقال الدارقطني: لا يصح من وجه، وانظر السلسلة الضعيفة للألباني [١٤].

المرأة ليست قهراً ولا جبراً ولا كتماً لأنفاس، وإنما هي وظيفة بمسئولية، وهذه القوامة هي عين كرامة المرأة حيث إن للرجل عليها الاستجابة عند الطلب، وعلى المرأة ترجمة الاستجابة بالسكن، فالمرأة بتكوينها خلقت لوظيفة كلها كرامة، والرجل خلق لوظيفة فيها المسئولية بشقاء وتعب وكد لذلك لما أخرج الله آدم وحواء من الجنة قال: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١١٧]. ولم يقل فتشقيا؛ إذن.. على الرجل الشقاء، وعلى المرأة السكن، والسكن يزيل الشقاء، فدور المرأة السكن والسكينة أمام المسئولية، والتعب يساوي الانسجام مع الاستقرار، والمودة المعطرة بالرحمة، والتي يشعر الإنسان بجمال الأسرة في ظلال الدين مصداقاً لقوله تعالى:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

والأسرة التي تقوم على الوداد المستمر والرحمة؛ تكون الحياة فيها السكينة التي تسكن إليها النفوس، والمودة التي تطمئن لها القلوب، والرحمة التي في ظلالها يعيش الكل مع الكل.

وقد تعرض الإمام للطلاق مبيناً أن الطلاق قد يكون نقمة على الأسرة، وقد يكون نعمة، وذلك عندما يختل ميزان المودة بين الزوجين وتفشل كل المحاولات ويستحيل اللقاء، فمن الخير التفرق بإحسان، ولم يكن الطلاق سيفاً مسلطاً على رقاب النساء، وإنما هو حق له قوانينه، وله أشراطه، وله دوافعه؛ على أن يُسْبق بوسائل للتقريب لا للتخريب، والتعسف في استعمال الحق ظلم؛ لذلك كان الطلاق من أبغض الحلال عند الله[1].

إن مولانا الإمام من خلال خواطره رسم معالم الأسرة لكل مُريد يطلب من الله جميل المراد؛ مبيناً حرص الإسلام على سمو الأسرة، وتربية الأولاد، ومعالجة النشوز، ودوافع التعدد والتصالح بعد شقاق، وواجب الزوج على زوجته، والزوجة على زوجها، وهذا هو كتاب العصر الذي يوقف الأفكار الوافدة والتيارات المنحرفة والتبرير المختل، يدعو إلى إقامة شرع الله تعالى بين الناس، ليعيشوا في جمال القيم، لا جمال اللمم.

---

(١) رواه أبو داود [٢١٧٨] عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق». قال الألباني في ضعيف أبي داود [٤٧٢]: ضعيف.

إن هذه الخواطر حول أحكام الأسرة والبيت المسلم التي أشار إليها الشيخ فيما قال هو وضع الحقيقة في ميزان المجتمع حتى يرى الاستقرار المفقود والسكينة الضائعة والحياة المختلة لتعيش في ظل مودة الوصل ورحمة الوصال فتنعم الأسرة بالوصول إلى الله وإلى الناس والحياة، وإلى عمارة الكون، كما يريده الله جل جلاله، وبالله التوفيق.

محمد السراوي